الفاشية
بين النظرية والتطبيق

5

الماركسيون ضد
موسوليني وهتلر

---

obeikan.com

obeikan.com

وكان الماركسيون مضطرين لاعتماد تحليلات جديدة فى مواجهة التصاعد الفعلي للفاشية. ففي البداية ، كان يبدو أن لديهم العديد من الافتراضات بأن الفاشية لن تشكل أي خطر دائم ،فقد كانوا يعتقدون أن الفاشيين يمكنهم فقط الهجوم على المباني والنقابات العمالية ، لكنهم بالكاد يمكنهم الوصول الى السلطة. ومن ضمن من تحدثوا فى هذا الشأن «أنطونيو غرامشي» ، في كتابه « لا أوردين».

L' Ordine وذلك خلال الاضطرابات الهائلة في أيار / مايو ١٩٢٠ ويقول: إن المرحلة الحالية من الصراع الطبقي في إيطاليا هي المرحلة التي تسبق إما الاستيلاء على السلطة من قبل البروليتاريا الثورية... أو رد فعل هائل من الرأسماليين والطبقة الحاكمة. وسوف تستخدم كل أنواع العنف لإخضاع الطبقة العاملة الزراعية والصناعية.

وفتش الماركسيون ، بحثا عن أدلة حقيقية ، واستبدلوا نظرياتهم في وقت قصير بعدما تبين لهم من واقع الحياة أن حججهم القديمة كانت واهية ومبالغا فيها. ويمكن ملاحظة هذه العملية ، على سبيل المثال ، في السرعة التي وافق فيها غرامشي على بعض التفسيرات الجديدة والتى سرعان ما رفضها بعد ما تبين له بأنها تفسيرات متناقضة للفاشية. ووضع غرامشى مجموعة واحدة من الكتابات الماركسية عن الفاشية والتى تضمنت ثلاثة مقالات في عام ١٩٢١.

وفي المقالة الأولى ، وصف غرامشى الفاشية باعتبارها مشكلة دولية قائلا : «تحاول الفاشية حل مشاكل الإنتاج بتبادل إطلاق النار من البنادق الآلية وطلقات المسدسات».

وفي المقالة الثانية ، يصور غرامشي الفاشية «كظاهرة إيطالية» ، تضرب بجذورها فى حالة من «عدم النضج للإنتاج الإيطالي». وأنها كانت حركة اجتماعية واسعة

النطاق لكن دون وجود قاعدة لها في فئة أو طبقة اجتماعية معينة ،كما وصفها بأنها «حركة القوى السياسية ، التي ليس لها وعى بالهدف الحقيقي الذى تسعى له.

وفي المقالة الأخيرة ، استعرض غرامشي الفاشية بقوله : « الحارس الأبيض للرأسمالية» والتى تعتمد على الصناعيين على نطاق واسع ، وفي ونفس الوقت تعتمد على صغار البرجوازيين في المدن وملاك الأراضي الإقطاعية في الريف.

ومع مرور الوقت ، تمكن الماركسيون من إيجاد تحليلات منهجية للفاشية الإيطالية. وفى الواقع ، فإننا يمكننا أن نتحدث عن ثلاث مدارس مستقلة ودائمة للفكر فى هذا الشأن.

أولها : «النظرية اليسارية للفاشية» ، وهى التي كانت مرتبطة في كثير من الأحيان بحركة اليسار داخل الحزب الشيوعي الإيطالي. ومرتبطة بإحدى الشخصيات بشكل خاص وهو «أماديو بورديجا ».

وثانى النظريات تتمثل فى: «النظرية اليمينية للفاشية» ، التي كانت تبنى على أعضاء الحزب الاشتراكي الإيطالي ، والذين تم الكتابة عنهم بشكل وافى في كتابات «جيوفاني زيبوردى».

وكانت النظرية الثالثة عن الفاشية نظرية أكثر تطورا ودقة ، والتي شهدت التناقضات بين النظريتين الماركسيتين السابقتين وأنها مرتبطة بعدد من التناقضات في قلب الفاشية نفسها. ولذلك قامت بالجمع بين وجهات النظر فى النظريتان السابقتين ثم قامت بإضافة تحليلاتها الخاصة ، وبذلك بلغت وصفا أكثر دقة حول الفاشية.

ورأت النظرية اليسارية للفاشية الفاشية باعتبارها خدعة في أيدي الطبقة الرأسمالية الحاكمة. وأنها شكلا من أشكال «إكراه الدولة» ، والتي تم تحقيقها

بواسطة البرجوازية. وأنها كانت حركة النخبة ، التي حددتها هدفها ، وهو «سحق الحركة العمالية». ووصف اليساريون الماركسيون الفاشية على أنها «'وظيفة في مجتمع برجوازي» ، أو بوصفها «إجراءات عنيفة تتخذ من جانب مجموعة من البرجوازيين». وهذه المعادلة التى تنص على أن (الفاشية = رد فعل= البرجوازية) ، تمثل امتدادًا للتحليل الذى قدم لأول مرة من خلال الكعب الحديدى. وكثيرا ما ترتبط نظرية اليسار بتحليلات اليساريين ، أو اليساريين المتطرفين بشكل أكثر دقة ، وذلك عند تفسير الديمقراطية الاجتماعية البرلمانية. ويسعى رأس المال لتحقيق السلام والاستقرار الاجتماعي ، ويمكن تحقيق هذا الاستقرار السلمي نسبيا ، من خلال التحالف مع السياسيين من الإصلاحيين ، أو يمكن أن تحقيق ذلك بطريق بديل يشمل المزيد من العنف ، عن طريق التحالف مع الألوية المقاتلة الفاشية.

وفي عصر الأزمات ، كانت الطبقة الرأسمالية تحتاج لسحق العمال ، وكانت الفاشية بالتالي أفضل طريقة لتحقيق ذلك لانها كانت تسحق العمال بشكل منظم ويومى.ولقد تميزت نظرية اليسار الفاشية بعجزها عن الفصل والتمييز بين رد فعل الفاشي وأى شكل آخر من أشكال ردود الفعل في ظل الرأسمالية. وعلى سبيل المثال ، فبعد فشل الحزب الشيوعي الألماني (KPD) فى الاستيلاء على السلطة في عام ١٩٢٣ ، صدر قرار في مؤتمر للحزب الشيوعي الألماني يصر على أن الفاشيين قد وصلوا بالفعل إلى السلطة : حيث شهدت الطبقة العاملة إنشاء أول مركز للفاشية في بافاريا ، حيث أنشأت الفاشية مركزها في برلين في شكل ديكتاتورية بقيادة الجنرال يوهانس فريدريش سيكت»(وهو من العسكريين الألمان - ولد في سيليزيا في ٢٢ أبريل ١٨٦٦ . وانضم إلى الجيش الألماني حيث خدم في حرس رماة القنابل)

وقام إيبرت من الحزب الاجتماعي الديمقراطي وائتلاف كبير بتعيين الجنرال

سيكييت « Seeckt » ديكتاتورا ... وكان أول ما فعله تجريم الصحافة الشيوعية كلها ومنظماتها ، وثانيا قام باحتلال ساكسونيا البروليتارية... وثالثا قام بإقالة حكومة العمال المنتخبة ديمقراطيا.

كما قام « بورديجا Bordiga أيضا بتبنى النظرية الفاشية ، وذلك في المؤتمر الخامس للأممية الشيوعية في عام ١٩٢٤ حيث يقول:

إن الفاشية ، في الأساس ، مجرد تكرار لعبة قديمة من أحزاب اليسار البورجوازية ، أي أنها تناشد البروليتاريا من أجل السلام المدني. وأنها تسعى لتحقيق هذا الهدف عن طريق تشكيل النقابات العمالية للعمال فى المجالات الصناعية والزراعية ، والذي من شأنه أن يؤدي بعد ذلك إلى التعاون العملي مع منظمات أرباب الأعمال.

وكان واضحا للكثيرين أن النظرية الماركسية عن الفاشية كانت كمادة خام تتميز بالبساطة. إن تلك النظرية لا تفسر أو تضيف جديدا حول الفاشية ، ولكن تقوم بضم الفاشية جنبا إلى جنب مع كل القوى الأخرى والتي ينبغي على الشيوعيين معارضتها. والقليل فقط من الكتاب اليوم يدعمون هذه النظرية ، ولكن سيكون من الخطأ أن نستنتج أن الحجج التى ساقتها تلك النظرية كانت تافهة ، أو أنها أقيمت فقط من خلال شخصيات هامشية داخل الفكر الماركسي التقليدي.

وكان أحد الكتاب الذين جادلوا بشأن المتغيرات المعقدة للنظرية هو الشيوعي الألماني كارل كورتش Karl Korsch ، وذلك في عام ١٩٢٠ ، وهو عضو بارز في الحزب الشيوعي الألماني KPD. وكان حجة كارل كوش ببساطة ، تتمثل فى أن الرأسمالية قد دخلت في فترة الأزمة. وفي مثل هذه الحالة ، يمكن للطبقة العاملة إما أن تقوم بالهجوم ، أو تختار التراجع والهزيمة. وبحلول منتصف ١٩٢٠ ، كان

الاتجاه نحو الهزيمة. في عصر الثورة المضادة ، ولا يهم حقا ردة الفعل التى حققت الانتصار آنذاك ، فقد رأى الاشتراكيون من جانبهم تلك الهيمنة على أنها هزيمة. لذلك ،تحولت الديموقراطية البرجوازية تماما بكل سهولة إلى الفاشية ، لتصبح فاشية هى ذات نفسها. والنتيجة كما وصفها كارل كورتش ، كانت عالما أصبحت فيه الفاشية شكل طبيعي من حكم البرجوازية :

أن العجز الرئيسي داخل الفكر الماركسي فى فهمه للثورة المضادة يتمثل فى أن ماركس ومن وجهة نظر تجربته التاريخية لا يمكنه تصور الثورة المضادة كمرحلة طبيعية من مراحل النمو الاجتماعي. وهو مثل ليبراليين البرجوازية ، يفكر في الثورة المضادة على أنها اضطراب غير طبيعي مؤقت يعكر صفو مرحلة من التطور التدريجي الطبيعي...

ويمكن صياغة القانون المضاد للفاشية بالطريقة التالية : بعد الاستنفاد الكامل للقوات الثورية المناهضة للفاشية وهزيمتها ، استمرت المحاولات المضادة ولكن من خلال أساليب جديدة وثورية و بأشكال مختلفة على نطاق واسع ،وذلك من خلال بعض المهام الاجتماعية والسياسية التى التزم بها حزب يسمى «الإصلاحيين reformistic والذين كانوا قد وعدوا النقابات العمالية بتحقيق بعض الاصلاحات ولكنهم لم يكونوا قادرين على النجاح في ظل تلك الظروف التاريخية.

و يصف «دوغلاس كيلنر» وهو أحد المتتبعين للسيرة الذاتية لكارل كورتش ، يصف «كورتش» أنه يقتبس تحذير روزا لوكسمبورغ الشهيرة بأن العالم يمكن أن يسير في احد اتجاهين فقط ،إما نحو الاشتراكية أو نحو الهمجية. 'وبطريقة غريبة ، يقول كيلنر « إن كورتش يرفع شعار روزا لوكسمبورج بشكل راديكالي. ويبدو أنه يريدنا أن نستنتج أن أي مكان لا يوجد به اشتراكية حقيقية ، يوجد به همجية».

وهكذا ، يمكن أن نرى أن نظرية اليسار الماركسي الواردة عن الفاشية تحمل فى طياتها بذور بداية الكارثة. وذلك يتبين في عدم قدرتها على التمييز بين شكل واحد من التسوية السياسية وأخرى ، فإنه أعمى مؤيديه عن احتمال أن الفاشية قد تمثل تهديدا جديدا أكثر خطورة. ونتيجة لذلك ، فإن الماركسيين اليساريين قد أصيبوا بصدمة عندما تواجهوا مع تهديد الفاشية الحقيقي.

وتصور« نظرية اليمين» الفاشية كحركة أكثر تعقيدا وانتشارا. في حين أن نظرية اليسار تركز على الملامح القسرية للفاشية ، وتأكد نظرية اليمين على أن الفاشية حركة اعتمدت بشكل أساسي على الإجماع. في حين أن نظرية اليسار تصور الفاشية كحركة النخبة ، بينما تنظر نظرية اليمين للفاشية باعتبارها حركة جماهيرية مستقلة عن السيطرة الرأسمالية.

ولقد كتب جيوفاني زيوباردى Zibordi وهو من الحزب الاشتراكي الإيطالي كتابا مهما ، عن الاشتراكية والفاشية وذلك فى عام 1922 ، والذي اتهم فيه اليساريين «بالتبسيط الخطير». وأكد أن الفاشية لم تكن لتحقق حيويتها وقوتها إذا لم تكن تتغذى من مصادر عديدة أخرى من الدعم المشترك لها.

لذلك فالفاشية ، ، حركة جماهيرية تعمل بشكل مستقل عن الدعم الرأسمالي. وشدد « زيوباردى» أنها أظهرت قوتها بشكل لا يمكن أن يكون مجرد حركة لرؤوس الأموال الكبيرة ، وأن الأمر يجب أن يكون أكبر من ذلك :

والتساؤل يطرح نفسه عن نوع السلطة التى كان لتلك الفاشية واحتمالات نجاحها ، فلو كانت حقا البرجوازية فقط 'هي الطبقة التي كانت تهيمن علي مجريات الأمور آنذاك ، أن تلك البرجوازية كانت تتمتع بمزايا وامتيازات تخشى عليها بحق من أن تدمر من قبل النظام الاشتراكي؟ فالسؤال الذى يطرح نفسه هو «ماذا لو

كانت تلك الطبقة البرجوازية وفي خضم هجومها ضد الاشتراكية ، لم تستفد ، بشكل مباشر وغير مباشر ، من التعاون ، والتأييد ، والتسامح من الفئات والطبقات المحيطة بها آنذاك، وهى الطبقات لم تكن لها علاقة مع «البرجوازية» بالمعنى الاجتماعي والاقتصادي للكلمة ، أو بمعنى آخر أن معارضه البرجوازية للاشتراكية جاء من تراكم لسوء الفهم ومشاعر الغضب تجاه الاشتراكيين ، وأن تلك البرجوازية لم تفعل أي شيء على الإطلاق لاسترضاء هؤلاء الاشتراكيين؟

ولقد وصف «جيوفاني زيوباردى »البرجوازية بأنها تنظر بعين الحسد والكراهية للعمال. ويعتبر زيوباردى أن المطالب العدوانية الشيوعية قد سببت الرعب لهذه الطبقة البرجوازية التي كانت تمثل الجزء الأكبر من عضوية الأحزاب الفاشية.

وكثيرا ما ترتبط « نظرية اليمين» بالقيام بتحليلات للرأسمالية ، لأن تلك الرأسمالية تؤكد بدورها على الاستقرار المتزايد و الأمن في قلب ذلك النظام الفاشي. فمن داخل المجتمع الرأسمالي المستقر ، كان ينظر للفاشية نظرة على أنها استثنائية أو أنها مثل المرض. وقد أدى ذلك إلى فكرة جديدة والتي بدت غريبة على المحتوى الثوري لاشتراكية كل من «ماركس» و «إنجلز» ، فالرأسمالية تعمل على إصلاح انتهاكاتها من الوجود ، والطبقة العاملة تحاول أن تقدم نفسها على أنها صديقة داعمة لجميع الطبقات الغير فاشية ، بما في ذلك الطبقة الرأسمالية. وبما أن كلا النظريات من اليسار واليمين يقللان من الخطر المحتمل من الفاشية ، فالتساؤل الذى يطرح نفسه كيف يمكن لهذه الحركة الفاشية الوصول إلى السلطة مع لغتها الراديكالية والمتطرفة ؟ فلا يوجد رأسمالي يدعم الفاشية ، فإذا كان صحيحا أن الإصلاحات الرأسمالية الجديدة كانت في مأمن من الأزمة ، فذلك كان يجعلها تبدو بعيدة عن أى تهديد حقيقي يمكن أن تسببه لها الفاشية.

ولقد تم اختبار نظريات كل من اليسار واليمين من خلال الممارسة الفاشية في إيطاليا في وقت استيلاء موسوليني على السلطة. و قاد « بورديجا Bordiga الحزب الشيوعي الإيطالي (PCI) مجسدا نهج اليسار. وألقى كامل طاقته في نقد لا يرحم لقادة الحزب الاشتراكي الإيطالي (PSI). وبناء على ذلك رفض أن يعمل مع الحزب الاشتراكي في أي تحالف دفاعي. كما يشير« ديفيد بيثام »، «أنه حتى بعد المسيرة في روما ، تحت قيادة غرامشي وتولياتي ، فإن نهج الحزب الشيوعي الإيطالي كان مصرا على موقف العداء المتواصل للأحزاب الاشتراكية». ولقد رفض غرامشي مرارا تشكيل تحالف مناهض للفاشية مع الحزب الإشتراكى ، لأن هذا من شأنه أن يكون بمثابة دعم لأولئك الذين قبلوا الانقلاب الذى قام به موسوليني.

وفي الوقت نفسه تأثر الحزب الاشتراكى بـ « زيوباردى» وتناول النظرية اليمينية للفاشية ، كما قام برفض أي تحالف. و أصر الحزب الاشتراكي على أن الفاشية كانت بسبب خطأ من الشيوعيين ، الذين حاولوا الإسراع بالخطى التاريخية بالقوة ' وبشكل يفوق الشروط الموضوعية التى تسمح بذلك. والفاشية كانت تمثل انتقاما من البرجوازية للتجاوزات التى قامت بها البلشفية ، و كل ما كان يمكن عمله الأمل فى أن الطبقة الرأسمالية سوف تعود إلى أساليب عادية أكثر من خلال حكمها.

وكانت النظرية الجدلية الثالثة للماركسية بشأن الفاشية قد نشأت خارج إيطاليا ، من خلال المناقشات للأممية الشيوعية (الكومنترن)Comintern . وقد وضعت هذه النظرية الثالثة بمثابة رد على الهزيمة الإيطالية. و لم تأخذ الكومنترن الفاشية على محمل الجد بما فيه الكفاية في الأصل ، وبالتالي وفي المؤتمر الثالث للأممية الشيوعية ، في حزيران / يونيو وتموز / يوليو عام ١٩٢١ ، اقتصر الأمر فى

المناقشات حول إيطاليا للدعوه الى تشكيل إتحاد للحزب الشيوعي الإيطالي. وقد فشلت ورقة الوفد الروسي التى كانت تحوى « تكتيكات» ، فى مناقشة الفاشية بشكل كامل. وفي المؤتمر الرابع ، ورغم أنه عقد بين نوفمبر وديسمبر ١٩٢٢ ، إلا أن المناقشة الآن أخذت تبدو أكثر إلحاحا. فقد كانت هناك أربع دورات تمت فى مناقشات حول الفاشية و بعد القيام بالتحليلات كان هناك إجماع من اليسار يؤكد على أن الفاشية هى رد فعل «معادي للبروليتاريا» ، ومن ناحية أخرى كانت هناك تأكيدات من اليمين على أن الفاشية تعتبر حركة جماهيرية لها منطق خاص بها.

وفي كلمات جاءت فى ما يسمى « برسالة تكتيكات الكومنترن» ، على سبيل المثال ، كانت السمات المميزة « للفاشية »الإيطالية الكلاسيكية... هو أن الفاشيين لا يشكلون فقط منظمات قتالية مضادة للثورة ، ومدججين بالسلاح ، ولكنها أصبحت أيضا تحاول استخدام الغوغائية الاجتماعية للحصول على قاعدة عريضة لها بين الجماهير .

وهناك مصدران من عام ١٩٢٣ يكشفان عن نهج مماثل لكن أكثر تطورا وجدلية تماما وهما : خطاب «كلارا زيتكين Klara Zetkin »في اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية ، والمصدر الثانى ل «غيولا ساس Gyula Sas » عن الفاشية الإيطالية. وأوضحت «كلارا زيتكين» ظهور الفاشية في سياق تحولات فى القوى الطبقية ، كما قامت باستخدام لغة مثل كلمة « الدينامية» و«التغيير» ، وهى كلمات مماثلة لتلك التي استخدمها ماركس في الثامن عشر من شهر برومير. كما وصفت الفاشية على أنها « نتاج للحالة السياسية» وقتها ، والتى شكلت نفسها بنفسها بسبب 'اضمحلال وتفكك الاقتصاد الرأسمالي ، الذي اقترن بحالة من الجمود في الثورة العالمية ، وذلك لتمكين حدوث هجوم رأسمالي. وفى رأيها فقد كان هذا هو

السياق الذي مكن الفاشية من النمو. وعلاوة على ذلك ، تقول : إن الفاشية كانت فقط حليفا للبرجوازية ، وليس أداه فى يدها. ، وانتقدت «زيتكين» اليمين واليسار على حد سواء فى تحليلاته للفاشية ، مؤكدة ان الفاشية كانت 'حركة جماهيرية ذات جذور اجتماعية عميقة ، وأيضا انها كانت من نتاج المجتمع الرأسمالي ، والتي لا يمكن تدميرها إلا من قبل ثورة عمالية.

أما ساس Sas ، وهو شيوعي هنغاري ممن يعيشون في ايطاليا ،فقد جاء بعد زيتكين Zetkin والقى باللوم على التبسيط المتبادل الذى اتسم به اليساريين واليمينيين بخصوص عجز الماركسيين الإيطاليين عن النظر إلى ما بعد وضعهم الحالى فهو يقول : « إن العمال الإيطاليين كانوا على اتصال وثيق جدا» وقام مثل «زيتكين » بالربط بين «صعود الفاشية» بـ (فترة الهجوم الرأسمالي» ، مع تشديده على أن هذا التفسير وحده غير كافي. و ساس يزاوج بين نظريات اليسار و اليمين الماركسي ، واصفا تشكيل الفاشية الجديدة على حد سواء بأنها «ديكتاتورية رأسمالية» ، والتي تهدف إلى سحق منظمات الطبقة العاملة ، وأيضا على أنها «حركة سياسية تستخدم لغة الجمع بين الاشتراكية والقومية ، والتي ظهرت بشكلها الثوري لضمان حصولها على الدعم الشامل.

ونخرج من هذه التحليلات بفكرة أن الفاشية كانت متناقضة. فقد كانت الفاشية قوة تاريخية معينة تشكلت من النزاع بين أهداف رجعية واتساع القاعدة الجماهيرية والدعم الذي تمتعت به كحركة.

وكان من مزايا هذه النظرية أنها تبدو متناسبة مع الحقائق. فقد أظهرت بشكل واضح ، العلاقة بين الفاشية والرأسمالية ، وأنها نشأت فقط في داخل المجتمعات الرأسمالية ، وأنها انحازت بشكل صارخ مع الطبقة الرأسمالية ضد الطبقة العاملة

داخل هذه المجتمعات. وأن الفاشية مستقلة أيضا عن كل من النخبة الرأسمالية ونخبة ما قبل الرأسمالية ، وبالتالي حتى في الوقت الذي كانت متحالفة فيه مع الرأسمالية ، قامت بالهجوم على البرجوازية التى كانت تعتبرها «طفيلية» ، وفى نفس الوقت صورت الفاشية نفسها باعتبارها القوة التي من شأنها حماية «الرجل الصغير» من بطش الشركات التجارية الكبرى. وثمة ميزة أخرى لهذه النظرية وهى الإشارة إلى أن الفاشية يمكن هزيمتها. فإذا كانت الفاشية كما اقترح «بورديجا Bordiga »مجرد تعبير مطلق للهمجية الرأسمالية» ، ، فبذلك لا تكون هناك حاجة لمحاربتها ، لأنه لا يمكن أبدا «ترويض الطبقة العاملة» ، وبالتالي سيتم تلقائيا دفعها لخارج السلطة. ومع ذلك ، فإذا كانت الفاشية حركة جماهيرية مستقلة ولها قوة خاصة بها ، كما اقترح «زيوباردى» ،فمن ثم لا يمكن أن تتعرض للهزيمة ، وكل ما يمكن القيام به هو أن يأمل الماركسيون في انقلاب الطبقة الحاكمة علي تلك الفاشية. وإذا كان ينظر للفاشية على أنها حركة جماهيرية صعدت و لكنها غير قادرة على تلبية رغبات الناس العاديين ، فأنه يترتب على ذلك أن قوى أخرى يمكنها أن تدفع بها خارج مسارها ، وبذلك تتمكن من وقف تلك الفاشية.

وحسب النظرية الجدلية الثالثة عن الفاشية. فإذا كان من الصحيح أن الفاشية قامت بتعبئة الناس العاديين في قضية أيديولوجية ، فيستتبع ذلك أن العمل الجماعي للطبقة العاملة يمكنه أن يفوز بأنصار الفاشية ، ويأخذهم بعيدا عن تلك الأيديولوجية نحو هدف مختلف للثورة الاشتراكية.

إن تحليلا بهذا المعنى يقدم ، أملا حقيقيا فى أن الفاشية يمكن أن تتعرض للهزيمة. وقد أشار «غرامشي» بأن الفاشية يمكن أن تصبح قوة دولية ، ولكن ذلك لن يحدث إلا إذا كانت الأحزاب الشيوعية قد فشلت في الضغط على الطبقة العاملة

كجبهة متحدة. واستخدم «باليرمو توجلياتى» Palmiro Togliatti نظرية للإشارة إلى بعض التناقضات الكامنة في الفاشية كشكل من أشكال الحكم ، بما في ذلك الفصل بين الحزب الفاشي والدولة ، والصراع بين الميليشيات الفاشية والجيش ، والتمييز بين النقابات الفاشية والدولة.

وفى عام ١٩٢٣ ، كانت نظرية الجدلية لتفسير الفاشية هى المهيمنة داخل الشيوعية الدولية ، و يمكن أن يرى تأثيرها حتى في بريطانيا ، حيث قام الحزب الشيوعي هناك بنشر كتيب هام ، متأثرا ب «كلارا زيتكين» ، محذرا من أن «المميزات الخاصة للفاشية تعطيها أهمية دولية حتى أكبر من تلك المستمدة من نجاحاتها المتوالية في إيطاليا». وتلك النظرية الثالثة أصبحت أيضا النهج السائد داخل الحزب الشيوعي الإيطالي ، وذلك من عام ١٩٢٣ وحتى ١٩٢٨.

وبسرعة جدا ، فقد تحولت الأممية الشيوعية ضد تحليلها الجدلي عن الفاشية. وكانت النظرية التي حلت محل ذلك تعتمد على إحياء لمتغير من التحليل اليسارى للفاشية ، وهو أن الفاشية هى مجرد شكل من أشكال رد الفعل الرأسمالي ، وكانت تلك النظرية الجديدة قد تم تبنيها بواسطة زينوفييفZinoviev ، زعيم الأممية الشيوعية.

فعلى سبيل المثال ، فقد تم تمرير « القرار حول الفاشية» في المؤتمر الخامس للكومنترن في تموز / يوليو ١٩٢٤ ، وتم فيه وصف الفاشية على أنها : واحدة من الأشكال الكلاسيكية للثورة المضادة في عصر الاضمحلال الرأسمالي... وأن (أى الفاشية) هى صك البرجوازية الكبيرة الذى تستخدمه فى مكافحة البروليتاريا. وقد أنشئت هذه الحجة كتفسير رسمي من المؤتمر السادس للكومينترن في عام ١٩٢٨ ، فى الإعلان عن «فترة جديدة ثالثة' من الأزمات الرأسمالية.وقد حافظت قيادة

الأممية الشيوعية على القول : إنه إذا لم تكن هناك ثورة ناجحة لدكتاتورية رأس المال ، فسوف تحل محلها « الديكتاتورية الفاشية». ولما كانت جميع الأطراف الرأسمالية في طريقها لأن تصبح فاشية أصلا ، لذلك فقد أصبحت الديمقراطية الاجتماعية هى الصك أو الأداة المحتملة فى يد «الديكتاتورية الفاشية» ، أو «الفاشية الاجتماعية». والتى تمثل العدو الحقيقي للشيوعية ، وقيل ، «ألم تكن الفاشية تمثل الديمقراطية الاجتماعية» ، وبهذه الطريقة أصبحت النظرية القديمة اليسارية المتطرفة مرة أخرى شعارا رسميا للحركة الشيوعية بأسرها.

وكانت النظرية الجدلية الثالثة كتفسير للفاشية قد أصبحت ذات شعبية كبيرة في أوائل منتصف عام ١٩٢٠ نتيجة لصفتها الداخلية ، وذلك بسبب أنها أوضحت التناقضات في قلب الفاشية. أما إحياء نظرية اليسار ، فلا يمكن أن يكون واضحا إلا من خلال العوامل الخارجية فقط ، وبذلك لا تعد تلك النظرية اليسارية وسيلة لتفسير الفاشية.فهى كنظرية لا توضح أى شيء ، والتحليل المتضمن بها لم يكن كافيا. وبالفعل ، كان التفسير الوحيد المقنع داخل الكومنترن هو التفسير الذى ربط بين الكومنترن وبين التغيرات في طبيعة الحزب الذي سيطر على الأممية الشيوعية آنذاك وهو الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتى (CPSU). ففي السنوات مابين ١٩٢٤-١٩٢٧ ، والتي شهدت انتصارًا لنظرية اليسار ، وهى الفترة التى شهدت وفاة لينين ، و انتصار ستالينStalin على زينوفييفZinoviev وكامينيف Kamenev ، واستصدار أمر لطرد تروتسكيTrotsky من الحزب الشيوعي. وداخل روسيا ، كان هناك عصرٌ من البيروقراطية ، المتمثل فى انكسار المجالس العمالية السابقة ، وقل عدد المسؤولين في الدولة مضروبا في أربعة أو خمسة على الأكثر، في حين تم إنهاء القيود المفروضة على رواتب أعضاء حزب الشيوعي سرا.

وكانت تلك الفترة أيضا فترة من التراجع الفكرى أو الأيديولوجي. وكانت الفكرة المسيطرة التي شكلت السنوات الأولى من الثورة هى رسالة مضمونها بداية الثورة العالمية ، والإصرار على أن عام ١٩١٧ كان جزءا من الثورة العالمية ، ويمكن للاشتراكية أن تنجح إذا عملت على انتشار تلك الثورة فقط. وبعد عام ١٩٢٤ ، كان الفكر السائد مستمدا على نحو متزايد من أفكار « بوخارين Bukharin» وبعد ذلك نظرية ستالين بعنوان «الاشتراكية في بلد واحد» ، وسادت الفكرة القائلة بأن الثورة يمكنها البقاء على قيد الحياة فقط داخل روسيا ، وبالتالي فأن مفتاح بقاء الاشتراكية كان يكمن فى تحويل المجتمع الروسي إلى آلة عسكرية كبيرة واحدة.

أما بالنسبة للعام ١٩٢٨ ، فقد كان العام الذي أعلن عنه عن بداية الفترة الثالثة ، وكان هذا أيضا العام الذى قام فيه «اليسار الستالينى» بعزل بوخارين ،كما شهد هذا العام تعديل في الخطة الخمسية الأولى وبدايات « العمل الجماعى» collectivisation ، وهى العملية التي اضطر فيها الفلاحون الروس للعمل في المزارع الجماعية أو المدن ، والتي لعبت دورا حاسما فى تخفيف التأثيرات الاجتماعية والسياسية للطبقة العاملة الروسية.

ومن الواضح أنه داخل الحزب الشيوعي ، كانت السلطة السياسية على نحو متزايد في أيدي فصيل ستالين. ومن الواضح أيضا أنه قد رافق هذا الحدث تغيير في طبيعة الأممية الشيوعية بمعنى : أنه لم يعد يطلب من الأممية الشيوعية أن تكون بمثابة منتدى عالمى للماركسية أو كأداة للتغيير الثوري. وكان من المتوقع الآن من أعضاء الأحزاب الشيوعية الدولية التي تشكل تلك الأممية الشيوعية ، قبل كل شيء اتباع خط السير الذى يتناسب مع متطلبات سياسة ستالين الداخلية والخارجية. ولم يكن يهم إذا كان هذا الخط الجديد غير مناسب أو يسبب الضرر ، فالمهم فقط أن

يطاع. وهذا الانحطاط والتدهور للأممية الشيوعية كمصدر للنظرية الماركسية شيء يؤكده المؤرخون حتى الذين كانوا متواجدين من قبل إنشاء الكومنترن. ، فعلى سبيل المثال ، يكتب «جون كوميت John Cammett »: وبعد المؤتمر الدولي السادس للأممية الشيوعية وبما في ذلك فترة وجود الجبهة الشعبية ، [أصبح عمل الكومنترن في مجال النظريات الفاشية] أقل وأقل صلابة واعتمد أكثر على المقتضيات السياسية البحتة. ويصف المؤرخ « إي . إيه كار» E. A. Carr هذا التدهور، انه بدأ بعد انتهاء المؤتمر الرابع للكومنترن ، ويصف ما حدث بعد ذلك بقوله «مقدمة طويلة ومحرجة أحيانا».

وكان نفس الحال لماركسيي الأممية الشيوعية (الشيوعية الدولية) ، ينطبق على الماركسيين داخل الاشتراكية الدولية ، ففي أواخر عام ١٩٢٠ ، والذى شهد تراجعا في جودة نظريتهم. كان من بين من يطلقون على أنفسهم «ماركسيين» ، شخصيات مهيمنة من الماركسيين داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني (SPD) ، بما في ذلك «كارل كاوتسكي Karl Kautsky »، و «رودولف هيلفردينغ Rudolf Hilferding ».

ولقد التزم كل من (كارل و رودولف) بفكرة أن نمو الثقة والاحتكارات هى التي تؤدي إلى هذا المستوى الرفيع من التخطيط والمركزية في الاقتصاد الرأسمالي ، وأنه أصبح من الأسهل للدولة من أي وقت مضى أن تتولي السيطرة على الإنتاج ، من خلال الإصلاحات الديمقراطية بدلا من الثورة.وقد أدت هذه الفكرة لتحقيق الاستقرار المتزايد للرأسمالية على حد سواء ، وبذلك تم النظر إلى الفاشية حينها باعتبارها «انحرافا». ولقد كتب كاوتسكي ، في عام ١٩٢٧ ، واصفا انتصار موسوليني أنه جاء نتيجة لظروف إيطالية محددة ، بما في ذلك المستوى المنخفض

للتنمية الصناعية ، ووجود العديد من «المثقفين العاطلين عن العمل »! وأعرب كاوتسكي عن قلقه بشأن عدم إمكانية التوفيق بين الفاشية والرأسمالية ، وأن تراكم الإنتاج الرأسمالي علي المدى الطويل يصبح ممكنا فقط في ظل ظروف من الأمن الكامل للملكيات والظروف المناسبة للازدهار.

وكانت النتيجة نمو لفكرة الفاشية التي كانت مشابهة لنظرية اليمين القديمة للفاشية وذلك داخل الحزب الديمقراطي الاشتراكي والحركة الاشتراكية الدولية ، ولكن تلك الفكرة كانت أقل تماسكا وأقل دقة وأقل استخداما. وتم وصف الفاشية ساعتها على أنها « ردة تاريخية» كما تميزت تلك الفترة بالعنف من صغار المنتجين في مواجهة الرأسمالية التى كانت تتميز بأنها عقلانية ومنظمة على نحو متزايد.

و هذا ما ساعد بعد ذلك على خلق حالة كان فيها كل من الحزبان الدوليان (الحزب الاشتراكي الألماني و الحزب الشيوعي الألماني) فى مواجهه لصعود الفاشية الإيطالية والألمانية بنظرية بها قصور لفهم تلك الفاشية. فداخل الحزب الاشتراكي الألماني ، كان التركيز منصبا على الجانب الجماهيري للحزب النازي (NSDAP) ، بما في ذلك الدعم المقدم له من البرجوازية الصغيرة ومناصبة العداء له من جانب النخب الرأسمالية. أما داخل الحزب الشيوعي الألماني ، فقد كان التأكيد على الطابع المتطرف للرأسمالية الفاشية ، و لم يكن هناك أدنى تصور من أن الفاشية يمكنها الاستيلاء على السلطة لحسابها الخاص. وتتقاسم هذه النظريات أمرين كان أولهما أن تلك الفترة تميزت بالعداء من كلا الحزبين الاشتراكى والشيوعى ، فالحزب الديمقراطي الاشتراكي (SPD) يعرب عن قلقه إزاء ارتفاع الحزب الشيوعي الألماني (KPD) ؛ لأنه كان على نفس مستوى صعود الحزب

النزي ، والعدائية من الحزب الشيوعي الألماني تجاه ما يسمى «بالفاشية الاجتماعية» ، التى كانت الأقرب للفاشية الحقيقية. وثانيا ، ففي كلتا الحالتين ، فإن الناحية النظرية كان بها قصور أدت إلى قصور فى الممارسة.

و جادل الحزب الديمقراطي الاشتراكي أن هتلر يمكن مقاومته عن طريق الجمع بين «هندنبرجHindenburg » و «بابينPapen »، و كما كتب هيلفردينغ Hilferding ، بعدما رفض هندنبرج منصب المستشارية لهتلر قائلا :« إن هندنبرج من النبلاء وكبار ملاك الأراضى الألمانية ، والذى طالما اعتاد على السلطة والمناصب العليا من البيروقراطية والعسكرية ، تخلي عن الميدان طوعا إلى حركة جماهيرية عامية؟ وجادل الحزب الشيوعى بأنه يمكنه مقاومة هتلر لوحده ، من خلال تكتيكهم المسمى 'الجبهة المتحدة الثورية من الأسفل» ، مما كان يعني أن البديل الوحيد لهتلر هو ثورة العمال. ولكن الملايين الذين كانوا يدعمون الحركة العمالية الألمانية ، من الذين ساروا تحت لافتاتهم المعارضة ، والذين سبقهم إليها الماركسيون الإيطاليون ، كانوا جميعا «غير قادرين على منع استيلاء هتلر على السلطة».